



إننا وكما خلصنا إلى الفكرة الفائلة بأن الصحوة المباركة التي عاشهها المنهج السني زمن مقارعة المد الشيوعي بالسنان واللسان والجنان هي صحوة مأذون لها، وسواء اقتنعنا بمسلمة الإذن أم لم نقنع بها، فإننا لا يمكن أن ننكر أنه كان لهذه الصحوة وجه مشرق من جهة وصول رحique السنة وبث أرجيحة بعد فترة اندراس وإغراب بين صفوف عشر المسلمين.

كما لا يمكن أن نستدير إحساس العجب والغرابة في اعتقاد عودة بوادر التمكين والخلافة على منهاج النبوة، بينما الناظر إلى المناخ العام الذي كان سائداً يومها لا يمكنه أن يواري ظاهرياً حقيقة أن الأمة ساعتها كانت تعاني من سكريتي الوهن والدخن، أو سكريتي الجهل وحب العيش كما جاء باللفظ في رواية أنس رضي الله عنه.

ولا شك أن هذا الوهن قد أفصح عن ما هيته الصادق المصدق بقوله صلى الله عليه وسلم: «حب الدنيا وكراهية الموت» (السلسلة الصحيحة: 958)، بينما لم يكن الدخن الذي شاب معين المنهج النبوي منهج «ما أنا عليه وأصحابي» (حسنه الألباني في صحيح الترمذى: 2641)، سوى دخن البدع والمحديثات التي ولدت وترعرعت وتجمع نفس ريحها في أوكرار دركات الخوارج والروافض والجهمية والصوفية والمرجئة والمعتزلة والأشعرية، ثم نفح في رمادها اليوم والأمس قبله النافخون لتعود إلى واجهة الشغب العقدي والفقهي والسلوكي.

وهو دخن كانت له مع هذا الخير صولة ودولة يكر فيها ساعة ويفر ساعات، ونحن لا يمكن أن ننكر أن ساعة كره كانت ولا تزال فترة شر خالص ومناخ وباء بائس يتغول فاتكاً ويعربد سافكاً، ويسمح لرواد محافل صناعته بالتسكع بيننا سفارةً والبغى في ثخوم حياضنا فساداً وإنفاساً.

فها هي سخائم الجahليّة المعاصرة ممثلة في الاتجاهات والأطياف والأوزاع المنادية بإقصاء الدين باسم إقصاء منهج أهل السنة، وتحييد الشريعة وتعطيل أحكامها باسم حمايتها من لوثة السياسة وأدرانها، تظل حريصة على استنطاق الخطأ السلوكى لبعض السنين ممن تورطوا في أعمال جاءت منافية للاعتلال والقصد السني، وهو استنطاق ظهرت عدم براءته من خلال المسارعة إلى سحب هذا الخطأ بعد افتعال الضجيج حوله على المنهج نفسه، واتهامه بالغلو والفكر المتطرف الصدامي، وجعل هذا كله مطية للمحاصرة والإدانة التي لا تفرق بين المنهج ومعشر المنتسبين إليه، في دائرة ضرورة ثنائية

الصواب والخطأ والالتزام والتفلت بضابط قول النبي عليه الصلاة: «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» (حسنه الألباني في صحيح الترغيب: 3139).

ولذلك تجد هذا المحاصر ومن انضوى تحت مشروعه من أبعاض فاعله بالاختصاص، لا يتوانى هو ومن معه عن "دعشنة" وإلصاق تهمة الإرهاب وتحيّن هذا الإلصاق كلما وقع شذ من فصيل معين بالمنهج نفسه.

وعليه نرى أن إظهار الحق في زمن الفتنة والمغلوبية أو الغربة إن سلم التوصيف واجب وإن استشرفنا بعد الإظهار والبيان صدود الناس عن اتباعه حالاً، وذلك لحسناته بقائه حاضراً في الأذهان وذكرى لثلة الإيمان تدفع به عند التنطع بحجة معاند يقول ولو بعد حين: {مَمَا سَمِعْنَا بِهُذَا فِي آبائِنَا الْأَوَّلِينَ} [المؤمنون من الآية: 24].

ولا شك أن التلازم قائم وسيبقى كذلك بين حقيقة مسلمة الحفظ والصون لكتاب المبين وسنة الصادق الأمين، وبين حضور وجود الطائفة التي أجرى على أيمانها ربنا جل جلاله وهو الغني المستغني مهمة هذا الحفظ وإظهار نفسه وبث روحه، وتجديد أمر دين أمته على رأس كل مائة؛ وبعث مجدها كل وقت وحين رغم كيد الكاذبين؛ وإنفاق الصادقين عن سبيل الأنبياء والمرسلين وضجيج المترفين.

ولعل من جنس هذا الإظهار الإيمان بسنن الله الكونية والشرعية في التغيير واستشراف الغلبة، وأن الدائرة لا بد أن تدور على أعداء الأمة الموصولة بالله، التي لا بد أن يأتي على أفرادها اليوم القريب الذي يستدركون فيه على مكامن الضعف والوهن والدخن، رائدتهم في ذلك قول من قال من الصحابة: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإذا ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله".

ولعل من جنس هذا الإظهار التنصيص على أن مضمون منهج أهل السنة ومفهومه لا يتجاوز خصيصة تعظيم الوحي، وما يلزم من هذا التعظيم من لازم التحاكم إليه وتحكيمه في السلم والخصومة والموافقة والمخارقة، وكذا تجريم ضرب بعض الوحي ببعضه تحت أي مسمى أو شبهة تسويغ، وواجب استيعاب كله تصديقاً وإقراراً، وواجب رد المتشابه من الكتاب والسنة إلى جلي المحكم منهما، ودرء دعوى شبهة معارضته المنقول للمعقول، والوقوف مع منزلة أهل السنة وقدر الصحاية في الفضل المطلق لهم، والفضل المخصوص لبعضهم، وما يلزم من هذا الوقوف من تقديم فهمهم وهديهم واعتباره الأعلم والأحكام والأسسلم.

وكذا اعتبار اللسان العربي أساساً لفهم نصوص الوحي وتأثير السنة، وذلك وفق معهود لغة الأميين، وجعل الأصول العقدية في إطار واسع المنهج السنوي منارات للتمايز وحقيقة الاتباع ومحابية الابتداع؛ بحيث تكون هذه المنارات هي المنخلة التي يلتج من سماها خياط الدين؛ وتحقق من خلالها مفاوز اتباع الأولين والنأي بالشعايرة عن إحداث المتأخرین.

ولا ريب أن هذا وجد ويجد حظوظ صوابه عند نقطة تشاكل مقاصد الإرسال والتنزيل، مع ما تحقق من فوز عظيم لذلك الجيل القرآني والرعيل الأثري، وليس الكلام عن هذا الفوز وعظمته من باب الرجم بالغيب أو التألي على مشيئة الرب جل جلاله، وإنما هذا قدتناوله القرآن في باب البشري وسوق ما خلا من كسب أفضى إلى ما أخبر به سبحانه عند قوله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبه: 100].

ولا شك أن التسليم بحصول هذا الإظهار من شأنه أن يميّط اللثام عن سبب اطراد قواعد الإدانة وحصرها ابتداءً في المنتسب، ومن ثم تيسّر سحبها على المنهج المعصوم بكمال المرسل وعصمة المرسل إليه، كمال وعصمة يعسر معهما الرمي المباشر لمضمون الوحي؛ كإدانة شعايرة الجهاد مثلاً في غير انفكاك عن نصوص الوحي؛ وتيسّر الاتهام والرمي بكل مثابة عند

صناعة الرمز وإلصاق هذه الشعيرة بمن أوغلوا في القتل من الأتباع -داعش وقبلها القاعدة- بغير حق وجاروا على القريب قبل الغريب، ورفعوا عقيرة الهرج في صفوف المسلمين بدعوى تطبيق أحكام الردة على من ثبت بالصوت والصورة والإشارة إسلامهم به صفاء عقيدتهم، ونقاوة إيمانهم، ومواطئة سريرتهم لعلانيتهم.

ومع الرمي والاتهام يتسرّور الصانع للرمز محارب المقصود أصالة وتعني به الإسلام الحق المتجرد من دوافع البدع والمحدثات، التي نجمت في الختام على أن سموّها المردية هي التي كانت لها حصة الأسد في إنهاء فتوة الإسلام، وشنّ حركة المسلمين ونزع ملحوظ برقة قليلهم، وبث ملمح غثنائية كثريتهم، وهو عين المقصود الذي لم تستطع إليه سبيلاً سيف الكفر التي اجتمعت قاطبة على الكيد له ولأهله ودولته قديماً وحديثاً.

ولا شك أن من وقف على مسلك ما ذهبنا إليه وعي تفاصيل مشروع الإدانة وتفریق فصول تجلياته على فترات ومراحل مستمرة ولو ببطء، ولكنها أكيدة التأثير والمفعول في إعادة صياغة ملامح ذلك الوصف الصليبي اليهودي ومعه المجنسي لدولة الإسلام "بالرجل المريض".

طريق الإسلام

المصادر: